أما بعد!

"فان قيل ما العالم؟ فيقال هو المصّور للشيء على حقيقته. فان قيل ما العلم؟ فيقال صورة المعلوم في نفس العالم. فأن قيل ما الحي؟ فيقال المتحرك بذاته. فأن قيل ما القادر؟ فيقال هو الذي لا يتعذر عليه الفعل متى شاء. فأن قيل ما الفعل؟ فيقال اثر من مؤثر..." (من رسائل اخوان الصفا)

ثم اعلم أيها الاخ: ايدك الله وايانا بروح منه ان هذه الاضبارة تختزل في حقيقتها اكداسا من الاضابير وانها شخصية بقدر ما هي عامة. وانها قادمة اليك عبر سبعة استار حديدية تكتنفها سبعة فراسخ من الاسلاك الشائكة. وانك لترى حبر الكلمات دون دم الاصابع وانك لتسمع الصوت وتقصر عن الحنجرة والقسمات. وليس الحق عليك، ولا هو على الطليان !!

أما بعد،

فقد روى الرواة -والله اعلم- انه حين تلطخ وجه العالم وضميره بدم شعبنا العربي الفلسطيني عام نكبة وتسعمئة وثمانية واربعين، ضاع من ضاع وشرد من شرد وذبح من ذبح ووقع اتفاقيات الهدنة من وقع. ولم يبق على تراب الوطن من ابناء شعبنا (داخل امبراطورية

صهيون الفتية!) سوى بضعة نازفة مبلبلة مرّوعة لا يزيد تعدادها على مائة وسبعين الفا جلهم من المسنين والمعدمين .. واذا كان بين "المنزرعين" نفر من الابطال الحقيقيين، فقد كان بينهم ايضا عناصر لم ترحل شمالا او شرقا. لا حبا بتراب الوطن فحسب، بل عجزا عن دفع ثمن تذاكر السفر، ايضا.

وأما بعد،

فان بضعة الشعب الطاعنة في السن وجدت نفسها امام خيار من اثنين: اما الصمود حتى النهاية.. واما الموت حتى النهاية...

وكما ترى ايها الاخ فقد وقع الخيار الحسن على قرار المجابهة الحادة والمباشرة والمستمرة منذ نيف وثلاثين عاما ..

واليوم تحولت الاشلاء الى جماهير يربو تعدادها على نصف المليون. وبين مطرقة الظلم وسندان العنصرية، فقد انصقلت هذه الجماهير وتفولذت واستبدلت شيخوختها المروعة بشباب مدهش.. فأكثر من ٥٠ بالمائة من اخوتك في الجليل والمثلث والساحل والكرمل والنقب هم دون سن الـ ١٤، وقرابة ٧٥٪ هم دون سن الـ ٣٠ .. وحوالي ٩٠٪ هم دون سن الـ ٤٠ ..

لقد وقع حكام اسرائيل اتفاقيات الهدنة مع حكام الدول العربية المجاورة، انذاك، لكنهم واصلوا حربهم ضد الاقلية العزلاء المصدومة تحت حكمهم ..

فرضوا علينا الحكم العسكري ومارسوا ضدنا انظمة الطوارىء الانتدابية البريطانية التي كان وزير عدل اسرائيلي سابق قد وصفها بانها "انظمة شبيهة بالقوانين النازية" ..

ورثوا عن الاستعمار البريطاني سياسة "فرق تسد" الرهيبة

وحاولوا تمزيقنا طوائف وعشائر وحمائل، وان كنت غير واثق من انهم يهورن جمع الطوابع فانني لواثق تماما من انهم يهورن جمع قوانين مصادرة الاراضي، ولذا تجمع لديهم اكبر مخزون في العالم من هذه القوانين!

وبالفعل، فقد راحوا يقضمون اراضينا شبرا شبرا.. وظل الكيل يطفح الى ان طفح الدم في يوم الصمود والفداء، "يوم الارض" الخالد، الثلاثين من آذار (مارس) ١٩٧٦... يومذاك غمر السيل الزبى وبلغ الذقون ولم يبق امام جماهيرنا سوى مجابهة الدبابات والرشاشات بالصدور العارية والحجارة والزجاجات الفارغة ..

سقط منا الشهداء والجرحى والاسرى غير ان الراية لم تسقط .. لم تسقط راية الدم والكرامة القومية التي بدأ نسيجها اجدادنا الكنعانيون قبل الميلاد بحوالي ٢٥ قرنا.. وواصل النسيج اجدادنا الانباط والغساسنة والازديون... وواصله عز الدين القسام ليسلمه من بعد راية مكتملة الى ايدي ورثته من الثوار الاشاوس...

لم يستنكف حكام اسرائيل عن وسيلة للقمع الجسدي والروحي ضدنا ..

واذا كانت كفر قاسم وسخنين ومجد الكروم وكفركنا تقيم الدليل على عمليات القمع الجسدي .. فأن عملية القمع الروحي تجد شاهدا من اهلها في الاستنتاج الذي توصل اليه الباحث الاسرائيلي "يوحنان پيرس" في دراسته عن "التربية القومية في مناهج التدريس العربية في اسرائيل" .. فقد اعلن ذلك الباحث بكثير من السخرية، ولا ريب، ان برامج التدريس في الوسط العربي في اسرائيل تقول للطالب العربي انه ينبغي عليه ان يحب هذه البلاد لانها كانت دائما عزيزة على قلب الشعب اليهودي!!

منتهى العبث.. منتهى اللا معقول.. وحضيض الالم.

أما بعد،

فاعلم ايها الاخ، ايدك الله وايانا بروح منه، اننا نحب هذه البلاد لانها كانت دائما عزيزة على قلب شعبنا العربي .. وإذا كان لا بد لنا من ضريبة ندفعها عن هذا الحب، فأننا ندفع بسخاء .. ندفع من اعمارنا ودموعنا ودمائنا .. ندفع بلا خوف وبلا ملل .. واننا لقادرون على الدفع لاننا نملك ثروة قومية هائلة ..

والصمود، أيها الاخ .. الصمود هو ثروتنا القومية ..

أما بعد،

ففي هذه الايام تعجّ الصحف الاسرائيلية واجهزة الاعلام الاخرى بالانباء والدراسات والمراجعات حول ما يسمى - "الخطر الديموغرافي" .. وهم يريدون لهذه الضجة ان تخلق التبرير لهجمتهم التهويدية الجديدة على ما تبقى من ترابنا القومي لا سيما في منطقة "الجليل"، انهم يتحدثون صراحة عن "تهويد الجليل"، اي جعله يهوديا .. وجليل اليوم ليس إنجليزيا ولا فرنسيا ولا استراليا .. انه كما تعلم عربي بن عربي .. ومما يكتبونه في صحفهم هذه الايام يبدو انهم مقبلون على بناء اكثر من ٣٠ مستعمرة يهودية جديدة في ارض الجليل .. وقد باشروا السيطرة على مساحات كبيرة مما تبقى لنا في النقب وفي المثلث .. وكل ذلك يجري في ظل "عملية السلام التاريخية".

إنهم يشنون حملتهم الجديدة تحت ستار كثيف من دخان كامب

ديفيد .. واننا لنكاد نختنق في دخان البارود الذي اكتشفه (او اخترعه، لا ادري!) السيد نوبل .. واننا لنكاد نختنق في دخان الاكاذيب السافلة عن "السلام" الذليل السافل الذي لا يعني في حقيقته سوى بيع شعبنا ووطننا بثلاثين ليرة اسرائيلية(قد تكون مربوطة بالدولار...).

إنما لا بأس ايها الاخ، الصمود هو ثروتنا القومية.

ختاما،

قد يكون بيننا "العالم" وقد يكون فينا "العلم" وقد لا نعدم "الحيّ" وقد لا نُحرم "القادر".. انما المسك "الفعل".. وصدق القائل ان "الفعل هو أثرٌ من مؤثّر .. فلنؤثر ولنترك لنا أثراً تحت الشمس!